



من بطولات المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بالجنوب الجزائري

د. بكار الدهمة

قسم التاريخ- جامعة غرداية / الجزائر

dahmaa01@gmail.com

- ملخص:

اهتمت مصالح الثورة التحريرية بالمرأة الجزائرية اهتماماً كبيراً؛ باعتبارها القاعدة الخلفية والسند الحقيقي للحركة التحريرية، وقد تحملت المرأة الجزائرية عبء التكفل بوحدة جيش التحرير الوطني المربطة في الجبال وفي الأرياف والبوادي، فكانت هي الأم والأخت والزوجة والبنات التي تحملت أشد أنواع التعذيب المادي والمعنوي طيلة سنوات الثورة⁽¹⁾، والإشكالية العامة التي سأحاول الإجابة عنها في هذه المداخلة تتمثل في ما هي أهم المسؤوليات التي أشرفت عليها المرأة أثناء الثورة التحريرية في الجنوب بصفة عامة؟ وما نوع مشاركة ومساهمة المرأة في الثورة التحريرية في ناحية غرداية؟.

مقدمة:

في البداية أريد أن أشير إلى أحد أهم المصادر التي اهتمت بنضال و بطولات المرأة الجزائرية أثناء ثورة التحرير المباركة، وهو كتاب نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية للمجاهدة والباحثة أنيسة بركات الذي أكدت فيه على الدور الرائد الذي أدته وبذلته المرأة الجزائرية في سبيل تحرير وطنها حيث جاء في مقدمة الكتاب ما يلي تقديراً لجهاد المرأة الجزائرية واعترافاً ببطولاتها وتحدياتها لقوات العدو ولكل أنواع وسائل التعذيب والاضطهاد قررت أن أقوم بعمل بحث علمي أبرز من خلاله

(1) المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقرير حول أحداث الثورة بناحية غرداية 1959 - 1962، المتحف

الولائي للمجاهد بمتملي ص 34.

شخصية المرأة الجزائرية المناضلة والمجاهدة وأشرح فيه بشكل موجز الواقع الثوري السائد في تلك الحقبة⁽²⁾.

وقد أكدت الباحثة في كتابها أن مشاركة المرأة الجزائرية في ميدان الكفاح المسلح جنباً لجنب مع الرجل قد أحدث انقلاباً جذرياً في المفاهيم والأفكار، وقد أشارت إلى أن جيش التحرير الوطني قد استقبل المرأة الجزائرية المجاهدة بكل فخر واعتزاز ونظر المجاهدون إليها نظرة الأخ لأخته وعاملوها معاملة محترمة لكون هذه المجاهدة قد التحقت مثلهم بالجليل لتحمل مشعل الثورة والمجد في سبيل تحرير الوطن من براثن الاستعمار ولتحقيق نفس الأهداف السامية التي اندلعت من أجلها الثورة التحريرية المباركة.

وبصفة عامة فإن المرأة الجزائرية على اختلاف مستوياتها وطبقاتها الاجتماعية سواء كانت في المدينة أو في الريف قد تمكنت من التغلب على العراقيل والعقبات والضغوط الاجتماعية القاسية التي كانت تجابهها حيث ساهمت مساهمة فعالة وإيجابية في الكفاح، وقد كان للمرأة مواقف بطولية مشرفة في الأرياف وفي المدن وفي مجال الدعم المادي والمعنوي، حيث قدمت كل ما تملك من مال وحلي ومؤن بسخاء، وأكثر من كل ذلك قدمت الولد والزوج إلى ساحات الوغى، وقد أثبتت وجودها في ميدان الكفاح بكل فعالية وإيجابية وأن المثل الذي ضربته تلك الفتاة القبائلية التي رفضت الفتى الذي تقدم لخطبتها لأنه ليس من المجاهدين لدليل قوي على دعم وتعلق المرأة الجزائرية بالثورة التحريرية المباركة⁽³⁾.

(2) أنيسة بركات: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013م، ص 05.

(3) أنيسة بركات: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المصدر نفسه ص: 29-30.

وإذا أردنا حصر أهم أدوار ومساهمات المرأة الجزائرية في الثورة في عَجالة، فسنذكرها في الآتي:

1- التكفل بشؤون الأسرة والأولاد في غياب الأب والزوج، فقد حاول الاستعمار مراراً مسح هوية الأسرة والأبناء وتفكيك اللحمة والبنية الاجتماعية بكل ما أوتي من قوة، ولكن المرأة رغم بساطة ثقافتها وقلة إمكانياتها استطاعت أن تحافظ على النسيج الاجتماعي وتحميه من مخططات الأعداء.

2- القيام بمهام الدعم اللوجستي المباشر؛ كتوفير المؤن ووسائل النقل والتخزين وإعداد الطعام وماء الشرب وخياطة الملابس وغسلها ورعاية المرضى والجرحى من عناصر جيش التحرير الوطني.

3- العناية بزراعة الأرض في كل موسم وسقي بساتين النخيل ورعي الأغنام في غياب العائل الأب والزوج والأخ والأبن.

4- الاهتمام بأرامل وأبناء الشهداء وعائلات المجاهدين والسجناء المعتقلين في السجون الاستعمارية.

5- العناية بشؤون الجرحى والمعطوبين في الملاجئ والمخابئ السرية المعدة خصيصاً

6- المساهمة في نقل الأخبار والمعلومات بين المسبلين والمراكز العسكرية القريبة⁽⁴⁾.

⁽⁴⁾ للمزيد في معرفة أدوار ومهام المرأة الجزائرية إبان الثورة التحريرية ينظر إلى أنيسة بركات المصدر نفسه، ص 34-41؛ ينظر مثلاً إلى مشاركتهم في مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في كتاب يحي بوعزيز: ثورات القرن العشرين، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 194.

7- مشاركة ومساهمة المرأة الجزائرية في المظاهرات الشعبية المساندة والداعمة لجهة التحرير الوطني ضد الاستعمار إظهاراً لمدى التفاهن حول الثورة⁵ وعلى العموم، فالمرأة لم تكن في معزل عن العمل والنشاط الثوري منذ اندلاعه، فقد كانت في قلب المعركة من البداية مجنّدة ومسبلة، حيث اعتمدت الثورة عليها كاعتمادها على الرجل فأسندت لها المهمات الخطيرة وتحملت في غياب الزوج عبء تربية الأبناء كما تحملت شتى أنواع الاستفزازات والتحرشات المُسلّطة عليها من قبل السلطات الاحتلال العسكرية، فقد تحول مسكنها سواء في المدينة أو الريف إلى مأوى وملجأ آمن يجد فيه أفراد جيش التحرير الوطني الراحة والعناية والمكان المناسب للتخطيط والإعداد⁽⁶⁾.

أولاً- أهم مساهمات المرأة في منطقة غرداية إبان الثورة التحريرية:

ساهمت المرأة مساهمة فعالة في الثورة وكان من أهم أدورهن جمع الاشتراكات المالية الشهرية والتبرعات من المجتمع النسوة⁽⁵⁾، كما شاركن في نقل المؤن من المخابئ ومن بيوتهن إلى المراكز العسكرية السرية التابعة لجيش التحرير الوطني، ومن أهم المشاركات في هذا المجال نجد المسبلة السيدة ستي غريقة ابنة بلدة ضاية بن ضحوة التي جاء في شهادتها ما يلي: "بدأت العمل في صفوف الثورة التحريرية في مجال الدعم والإمداد وذلك بتقديم الطعام للمجاهدين وغسل ثيابهم وتوفير الأمن لهم، كما كنت أقوم بنقل المواد التموينية في كثير من الأحيان إلى المراكز القريبة

⁵ (المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقرير حول أحداث الثورة بالناحية 1959 - 1962 ، مصدر سابق، ص 35. المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقرير حول أحداث الثورة بناحية غرداية 1959-1962... ، المحور السياسي، مصدر سابق، ص ص29-30.

المحيطة بالبلدة وكنت على اتصال شبه دائم بالسيد عبد القادر عطاشي أحد مجاهدي المنطقة من مدينة القرارة الذي كان كثير التردد على البلدة وبسبب ذلك المجيء المتكرر أصبح منزلي الكائن في وسط بلدة ضاية بن ضحوة عُرضة إلى حملات التفتيش كان المنزل عبارة عن مخبأ يلجأ إليه في كثير من الأحيان أفراد جيش التحرير الوطني، وكنت قد أعددت لهم مخبأً خصيصاً لذلك تحت أرضية المنزل .

ومن شهادات المسبلات المناضلات نجد كذلك شهادة المسبلة السيدة النوية بنت السايح زرقاط والمصباح مسعودة المولودة بمدينة مليلي سنة 1926 تقول التحقت بالثورة سنة 1957 بصفة مسبلة تابعة للقسم رقم 60 في محيط الشبكة، تقول كانت بيتي في البادية بمثابة مركز تابع لأفراد جيش التحرير الوطني في المنطقة، كنت أقوم بإعداد الطعام بشكل دوري لأفراد جيش التحرير الذين كانوا يقصدوننا من حين لآخر ⁽⁶⁾.

وهناك شهادة أخرى في نفس السياق للمسبلة والمجاهدة السيدة ربيعة بهاز بنت الحاج جللول والحاج عمر حدة المولودة بمدينة متليلي سنة 1923 تقول التحقت بصفوف الثورة سنة 1956 كمسبلة تابعة للقسم رقم 60 في المنطقة حيث أشرفت على عدة مهام ومسؤوليات كتموين أفراد جيش التحرير بالمواد الأساسية وجمع التبرعات المالية من الأوساط النسوة في المدينة ، كما كنت أشرف على نقل وإيصال المعلومات والأخبار أنا وزوجي المدعو الطيب بهاز إلى المراكز العسكرية السرية التابعة لجيش التحرير الوطني القريبة من مقر سكنتنا، وفي سنة 1958 ثارت الشكوك حول تحركاتنا وذلك نتيجة وشاية فقامت السلطات

(6) شهادة حية للمسبلة توجد نسخة منها مسجلة في دفاتر خاصة في المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي.

العسكرية الفرنسية في المنطقة باستنطاقي وتعذيبي ولكن لم تظفر بأي شيء أو معلومات فقامت بفرض إقامة جبرية عليّ في البيت بحيث بقيت على هذه الحالة حتى تحصلت الجزائر على استقلالها، وبعد الاستقلال تقلدت عدة مناصب في المنظمة الوطنية للمجاهدين، وفي الهلال الأحمر الجزائري، وفي الاتحادية الوطنية للنساء⁽⁷⁾.

ونختم هذه الشهادات الحية بشهادة المجاهدة السيدة حدة بن عمران بنت موسى ومسعودة طويطي المولودة ببلدة متليلي سنة 1905 تقول كانت البلدة في تلك الحقبة صغيرة ويوقها قليلة ومتباعدة ومتناثرة، تقول نشأت في أسرة محافظة وبسيطة وترعرعت في جو عائلي يسوده حب الوطن والالتزام بأوامر الدين، تقول وفي حدود سنة 1920 تزوجت بالسيد الحاج محمد طرباقو وقد بارك الله في هذا الزواج فأنجبت اثنتا عشر 12 مولوداً تسعة 09 ذكور وثلاثة 03 بنات، وقد تقاسمت مع زوجي مشاغل الحياة في البادية مثلنا مثل الكثير من أهل البلدة نرعى الأغنام ونشرف على شؤون البيت وقبل اندلاع الثورة بقليل اشترينا بستان نخيل في أحد أطراف البلدة في حي الحديقة وقمنا بتشييد مسكناً لنا في داخله، ومع اندلاع الثورة في نوفمبر 1954 كانت المجاهدة من أوائل من التحقن بالثورة كمسبلة وعندما اشتد عود الثورة في المنطقة دفعت بكل أولادها الذكور للانخراط في

(7) شهادة حية للمسبلة توجد نسخة منها مسجلة في دفاتر خاصة في المتحف الولائي للمجاهد في متليلي.

صفوف جيش التحرير الوطني حيث قدمت ثلاثة منهم شهداء وهم طرباقو علي، وقدور، ومسعود⁽⁸⁾.

كما شارك بعض منهن في العمل العسكري المحصن، وكان منهن الجنديات والمسجلات والمرضيات في الميدان، ومن هؤلاء من استشهدن تحت التعذيب والقهر بعد أن صمدن صمود الأبطال. ومن هؤلاء الشهيدات، الشهيدة عائشة النواصر⁽⁹⁾ الملقبة بالخنساء، والشهيدة العالية مصباح، والشهيدة الشبيخة الرويجي، ولعل أبرزهن الشهيدة عائشة نواصر التي دفعت بأربعة من أبنائها إلى جبهات

(8) أم الخير حروز: دور المرأة في الثورة التحريرية بالجنوب الجزائري 1954-1962 متيلبي أنموذجاً، إشراف الدكتورة بيمينة بن صغير والأستاذ جلول بن قومار، جامعة غرداية الموسم الجامعي 2014-2015، ص 73-74.

(9) عائشة نواصر بنت رمضان، ولدت بمتيلبي سنة 1901، استقرت عائلتها ببلدة العطف بعد ترحال طويل، من أبنائها المشاركين في الثورة، نذكر رزاق الزيعم الذي سقط شهيد في معركة الحوار بمتيلبي بمحصر بشقاق، وأحمد رزاق الذي شغل منصب أمين الفرع المالي أثناء الثورة، والذي توفي سنة 1993، ومبارك أحد أبطال معركة جرجير الشهيرة التي وقعت في محيط تراب الناحية يوم 20 جويلية 1961 والعلمي الذي شهد عملية التعذيب التي تعرضت لها والدته عائشة رفقة أختها مسعودة وميرة، كانت الأم عائشة مكلفة بمهمة تنظيم الخلايا النسائية بالمنطقة، وكانت تجمع المواد التموينية والألبسة والأحذية، وحتى السلاح والذخيرة في منزلها الكائن ببلدة العطف الذي تحول إلى مقر رئيسي يجتمع فيه قادة الجبهة للتخطيط، كما كان زوجها من المناضلين المعروفين بالبلدة، استشهدت الأم عائشة في شهر جوان سنة 1959، تحت التعذيب بعد صمود أسطوري للتعذيب الذي تعرضت له والذي دام لمدة أربعة ساعات والأم صامدة وصابرة ومحتسبة لم تنطق بكلمة واحدة، حيث واجهت آلة تعذيب بتحدي بطولي كبير أهرت وأخرست به الجلاد المتغطر الذي أثارت حنقه وأفقدته صوابه، فعذبها وتركها ملقاة على قارعة الطريق تموت ببطء مدرجة بدماؤها الطاهرة رحمها الله، للمزيد في الموضوع ينظر: مختار سويلم: ((دور المرأة الشعبانية في الثورة التحريرية؛ نواصر عائشة الخنساء الأخرى للشعبانية أنموذجاً))، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 07، العدد 02، جامعة غرداية 2014، ص 203-204، وينظر كذلك إلى الفيلم الوثائقي الذي جاء تحت عنوان: الشهيدة عائشة النواصر.. خنساء العطف وهو من إنجاز مؤسسة التلفزيون الجزائري سنة 2016 ومسجل في قرص مضغوط C.D.

القتال والتحقت هي الأخرى بهم حيث سقطت شهيدة بفعل التعذيب الذي تعرضت له بعد صمود أسطوري.

وقد عرفت ناحية غرداية نساء كثيرات قدمنا العديد من أبنائهن شهداء ومجاهدين ومن هؤلاء نجد السيدة حدة بن عمران السابقة الذكر التي قدمت ثلاثة من أبنائها شهداء هم قدور ومسعود ومحمد أبناء طرباقو الثلاثة سقطوا شهداء الواجب في المعارك التي دارت رحاها في تراب الناحية، وإذا أردنا أن نحصي عدد شهيدات الناحية سنوات الثورة نجد الآتي:

- فاطمة حمزة بنت سالم المولودة بغرداية خلال سنة 1881، والتي انخرطت في صفوف الثورة سنة 1956 بتراب الناحية واستشهدت سنة 1957.

- فاطنة قريدة بنت أحمد المولودة بمتليلي خلال سنة 1930، والتي انخرطت في صفوف الثورة سنة 1957 واستشهدت في شهر فيفري سنة 1959.

- عائشة نواصر بنت رمضان المولودة بمتليلي سنة 1901، والتي انخرطت في العمل الثوري سنة 1957 واستشهدت تحت التعذيب في شهر جوان سنة 1959.

- أم الخير الدين بنت الشيخ المولودة بمتليلي خلال سنة 1932 والتي انخرطت في العمل الثوري سنة 1956، واستشهدت في سنة 1960.

- العالبة مصباح بنت عبد القادر المولودة بمتليلي خلال سنة 1934، والتي انخرطت في صفوف الثورة سنة 1957 واستشهدت سنة 1960.

- الشيخة الرويحي بنت أحمد المولودة بمتليلي خلال سنة 1943 والتي انخرطت في صفوف الثورة سنة 1959، واستشهدت في شهر أفريل سنة 1960.
- سعيده بومهراس بنت محمد المولودة بمتليلي سنة 1919 التي انخرطت في صفوف الثورة سنة 1958 واستشهدت في شهر أفريل سنة 1961.
- مسعودة بريك بنت حميدة المولودة بالمنيعة خلال سنة 1942، والتي انخرطت في صفوف الثورة سنة 1957 واستشهدت في نفس السنة 1957.
- عائشة شعيب بنت قويدر المولودة بالمنيعة خلال سنة 1932، والتي انخرطت في صفوف الثورة سنة 1957 واستشهدت في نفس السنة 1957.
- فاطمة أولاد مختار بنت قدور المولودة بالمنيعة خلال سنة 1935، والتي انخرطت في صفوف الثورة سنة 1958 واستشهدت في شهر نوفمبر سنة 1960⁽¹⁰⁾.
- وقد كان معظمهم مجندات وكان منهن الفدائيات والممرضات والمرشدات في الأرياف والجبال والمدن وقد كن سندا قويا للرجل في كفاحه للاستعمار⁽¹¹⁾، كما كان لأطفال البدو الرحل دورا مهما أثناء الثورة تمثل في نقل الرسائل السرية والبريد بين المراكز العسكرية والعناصر الفدائية وهذا رغم المخاطر وصعوبة وقسوة المناخ والتضاريس في المنطقة وخاصة في أيام الحصار الشديدة⁽¹²⁾.

ثانيا - أهم المعارك التي شهدتها ناحية غرداية أثناء الثورة التحريرية:

شهدت الناحية العديد من المعارك الفاصلة بين عناصر جيش التحرير الوطني وقوات العدو الفرنسي المدجج بأفتك أنواع الأسلحة في منطقة نائية بسيطة التضاريس وشبه جرداء من الغطاء النباتي، مما جعل خوض المعارك في محيطها يشبه المعجزة أو العملية الانتحارية. ولكن رغم ذلك، فقد شهدت المنطقة سلسلة من المعارك استنزفت قوة العدو، وكانت منذ بدايتها في شهر أوت سنة 1957 معارك طاحنة وغير متكافئة، واستمرت إلى غاية شهر يناير سنة 1962 وسقط في ميدانها العديد من الشهداء من أبناء الناحية. وسأحاول تناول بعض هذه المعارك وفق تسلسل وقوعها التاريخي

1- معركة أفران بضواحي بلدة المنصورة في 28 أوت 1957.

لماذا تأخرت المعركة إلى صيف سنة 1957 ؟. هل لكون الناحية لا تصلح و لا تساعد على خوض المعارك بالطريقة الكلاسيكية أم أن هناك عوامل أخرى كانت السبب في هذا التأخر ؟ فلقد زار القائد سي الحواس تراب الناحية قبيل اندلاع الثورة و خرج بعدة ملاحظات مفادها أن الناحية لا تصلح لخوض المعارك رغم طبيعة سكانها المتحمسون للعمل الثوري ، و بالعودة إلى تفاصيل المعركة نجد أن المجاهد محمد الخرنق الذي شارك في المعركة يقول بخصوص ما وقع بأن المعركة فرضت علينا فرضاً و لم نكن نفكر فيها من الأساس⁽¹⁶⁾، كان السبب الرئيسي لنشوبها هو كمين واد الغزالات الذي وقع في يوم 22 أوت 1957 والذي كان له الفضل في إجهاد الاتفاق المبرم القاضي بتحقيق الوئام في تراب الناحية.

شكلت معركة أفران التي وقعت يوم 28 أوت 1957 منعطفا هاما في مسار الثورة على تراب الناحية فقد رفعت الغطاء وكشفت عما كان يحاك في الخفاء والسرية بخصوص مصير الثورة في تراب الناحية⁽¹⁷⁾، يقع جبل أفران الذي شهد تفاصيل المعركة في الجنوب الغربي لمدينة متليلي في تراب الشبكة، الجبل متوسط الارتفاع تكسوه الصخور الكبيرة الناتئة وتغطيه بعض الأعشاب الصحراوية الجافة والجهة الجنوبية من الجبل تتميز بشدة الانحدار و عند سفحه يوجد لذي فنع ماء لهذا كان الجبل مركزاً وملجأً مهماً تجتمع فيه عناصر جيش التحرير الوطني من حين إلى آخر، كان سبب المعركة كما قلنا في السابق كمين واد غزالات اجر الوضع و جعل القوات الفرنسية تكثف من عمليات بحثها وتضاعف من عدد دورياتها بالقرب من مكان وقوع الكمين، بل لجأت إلى سلاح الجو لاكتشاف المكان من خلال الطلعات الجوية الاستطلاعية المتواصلة مما جعل عناصر كتيبة جيش التحرير الوطني تتفرق لتتجمع من جديد في جبل المرصيط⁽¹⁸⁾ الكثير المغارات والكهوف من أجل الاختفاء ولكن إصرار القوات الفرنسية على البحث عن مكان اختفاء عناصر الكتيبة وبعد الاستعانة بفرق القومية والخنونة⁽¹⁹⁾ وبعد محاولات عدة تم اكتشاف موقع تركز عناصر جيش التحرير و بسبب شدة

(16) محمد الخرنق : شهادات حية لمجاهدي مدينة متليلي ، شهادة مسموعة و مسجلة ، مصدر سابق .

(17) محمد جبريط: على مدارج النضال والثورة خطوات وذكريات 1947-1964، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي، غرداية، 2015.

، ص177.

(18) يقع الجبل شرق جبل أفران الذي شهد المعركة بحوالي ثمانية كيلو متر 8 كلم.

(19) الزبير بوشلاغم : معركة حاسي أفران ، مجلة أول نوفمبر ، العددان 134-135 سنة 1992،

ص44.

الحر أرسلت قيادة الكتيبة المتمثلة في القائد مزيان صندل ورفيقاه عثمان الحامدي و محمد السلة جنديان (20) من أجل جلب الماء من النبع القريب لكن الجنديان تأخرا ولم يعودا مما اضطر القيادة إلى إرسال كل من الجندي الطيب بوخشبة والجندي مختار بن سالم للوقوف على سبب التأخر، وتم استعمال المنظار لاكتشاف المناطق المجاورة وبالفعل اكتشف الجنديان حركة كبيرة للآليات العسكرية الفرنسية بالقرب من المركز فسارعا بالرجوع وأبلغا القيادة الخبر، لكن المسؤول العسكري للكتيبة مزيان صندل لم يحرك ساكنا و تلقى الخبر ببرودة و لم يعره أية أهمية بل كان رده هو أن القوات الفرنسية لا تستطيع أن تأتي إلى هنا ؟ مما جعل بعض العناصر تتحرك فورا نحو جبل أفران من جديد للتأكد من الخبر بدون أخذ الأذن من القائد و لما وصلت المجموعة وجدت الجنديان المكلفان بجلب الماء هناك فقفلا راجعين من جديد إلى جبل المريط مرة ثانية(21). وأثناء الرجوع اكتشفوا وجود قوات فرنسية كبيرة تتحرك على شكل نصف دائري باتجاه الجبل و بعد وقت قصير ظهرت أول الطائرات الاستكشافية والتي ألقت قنابل دخانية في المسار الذي كانت تقطعه المجموعة الأمر الذي دفع بالمجموعة إلى التراجع نحو جبل أفران مرة أخرى لأخذ أماكن قتالية و لمراقبة الوضع بشكل أفضل، و أما باقي عناصر الكتيبة فقد التحقت تباعا بالجبل بعد أن تبين لها أن الوضع يتجه نحو التفاقم، و في حدود الساعة الحادية عشر صباحا من يوم 28 أوت 1957 شاهد بعض جنود جيش التحرير جنديان فرنسيان من فرقة اللاسلكي يحاولان صعود الجبل من الجهة الخلفية

(20) الجنديان هما عبد الله حمادي و الآخر لم أعرف اسمه رغم التحري والبحث.

(21) الزبير بوشلاغم : مرجع سابق، ص46.

فأطلقوا النار عليهما و قتلتهما في الحين بعد الحادثة مباشرة اشتعلت المنطقة و دار قتال ضاري بين الطرفين تمكن خلاله عناصر الكتيبة من صد كل محاولات العدو لصعود الجبل و توسع القتال تدريجيا ليشمل كامل المنطقة المحيطة بالجبل حيث شارك في المعركة سرب من الطائرات الحربية من نوع B29 و B26⁽²²⁾. واستمرت المعركة إلى وقت الغروب الذي استغلته القوات الفرنسية المدعومة بفرق القومية و اللقيف الأجنبي في محاولة يائسة منها لاقتحام الجبل بهجوم واسع و شامل مع حلول الظلام لكنهم واجهوا قوة نيران كثيفة و مركزة أرغمتهم على التراجع و مع مرور الوقت بدأ الوضع يتجه نحو الهدوء و الترقب بحيث استغل القادة الميدانيون الوضع الجديد وخلصوا إلى ضرورة الانسحاب مستغلين انتشار الظلام. وبالفعل تم الانسحاب بأعجوبة نحو جبل المرصيط مرة أخرى ثم واصلوا الانسحاب مبتعدين عن ميدان المعركة باتجاه واد جرجير الواقع على بعد عشرة كيلومترات من مكان وقوع المعركة وهناك استراح عناصر الكتيبة استعداد لما سيأتي.

انتهت المعركة مخلفتا ثلاثة شهداء من عناصر الكتيبة وهم مختار رويح من مدينة القرارة و حكوم بلكحل من مدينة المنيرة و محمد برغايد من مدينة متليلي⁽²³⁾ أما خسائر العدو فقد كانت ثقيلة حوالي سبعين جندي فرنسي قتل مع عدد كبير من الجرحى بالإضافة إلى إسقاط طائرة أصابها طلقات عناصر الكتيبة ، يقول محمد جبريط في هذا الشأن ما يلي " .. بعد الانسحاب الآمن من ميدان المعركة

(22) الطيب بوخشبة : نبذة تاريخية عن حياة المجاهد، مصدر سابق، ص02.

(23) محمد جبريط : على مدارج النضال والثورة...، مصدر سابق ، ص181، هناك اختلاف في أسماء شهداء المعركة، فالبعض يورد المختار بن سالم و محمد بوراس و حكوم بلكحل، هذا الأخير أجمعت عليه معظم الروايات و الشهادات المكتوبة، ينظر: الزبير بوشلاغم ، المرجع السابق، ص46.

واصلت الكتيبة في اليوم الموالي سيرها باتجاه مركز الرالة الحمراء الكائن بمنطقة شعاب السبع شمال مدينة متليلي أين استراح عناصر الكتيبة قبل مغادرته باتجاه جبل الغاسول يقول في المركز وصلتنا أخبار كمين الخراجة السابق الذكر والذي كان له الفضل في تخفيف الحصار الخانق الذي تعرضنا إليه (24) أثناء خوض المعركة .

لقد كان لمعركة أفران الدور الكبير في تنبيه سلطات الاحتلال لخطورة الوضع الذي أصبحت تعيشه الناحية حيث أصبح العدو بعد المعركة يعمل و يجد على تعزيز تواجد قواته في كل جهات الناحية وذلك بتشديد الرقابة من خلال شبكة المطارات العسكرية التي أنشأها على محيط الناحية.

يصف الرائد عبد الوهاب مولاي إبراهيم قائد المنطقة الثامنة في الولاية الخامسة معركة أفران بالمعلم و الدليل الواضح على مشاركة أبناء الناحية و بقوة في الثورة (25) وبالفعل فبعد حوالي شهرين من معركة أفران وقعت معركة أخرى ببلدة العطف يوم 25 أكتوبر 1957 وهو تاريخ انسحاب عناصر الكتيبة نحو تراب الولاية الخامسة شارك و أدر معركة العطف الأخيرة عناصر من تنظيم سي زيان عاشور المتمركزة ببلدة العطف بحيث انتهت المعركة بدون خسائر تذكر.

2 - معركة مركز الحشانة في تراب شبكة مدينة متليلي في شهر أوت 1959:

دارت رحى المعركة في تراب شبكة متليلي بين دورية من عناصر جيش التحرير الوطني كان يقودها عبد القادر عطاش متكونة من بعض العناصر نذكر من هم

(24) محمد جريط : المصدر نفسه، ص182.

(25) عبد الوهاب مولاي ابراهيم: شهادات حية للمجاهد، شهادة مسموعة ومصورة بتاريخ 21 ماي

2005 ، متحف المجاهد متليلي.

ميهوب سويلم وعمر بوعامر من أبناء الناحية وفرقة من قوات الجيش الفرنسي مدججة بالأسلحة الثقيلة، حيث دامت المعركة لعدة ساعات بسبب المناوشات الجانبية استعمل فيها عناصر جيش التحرير أسلوب الكر والفر، وانتهت المعركة بمقتل حوالي ثلاثون جندي فرنسي و بإلحاق العطب بطائرة حربية (26).

3 - معركة ساقية موسى بضواحي مدينة متليلي في 23 سبتمبر 1959:

نشبت المعركة يوم 23 سبتمبر 1959 بين فوج من عناصر جيش التحرير الوطني (27)، الذي كان يقوده الفدائي بوجمعة قرمة ودورية للجيش الفرنسي، التي أكتشفت عن طريق الصدفة عملية تسلل لعناصر الفوج من الجهة الجنوبية لمدينة متليلي. وكان الفوج مكلفا بمهمة الاطلاع على آخر المستجدات وجلب المؤن من المدينة، وفور اكتشافهم حاولت القوات الفرنسية محاصرة تلك العناصر قصد أسرهم فنشبت المعركة مع غروب شمس فس ذلك اليوم، لكن المعركة لم تدوم طويلاً؛ إذ استطاع عناصر الفوج الانسحاب من ميدان المعركة بطريقة تكتيكية مُستغلين حلول الظلام وانقسموا إلى قسمين، بحيث اتجه الجنديان محمد بوعامر وعبد القادر بن شعاعة نحو حي شعبة سيد الشيخ القريب، ومنه اتجها نحو حي شعاب العريق شمالاً، بينما بقيت العناصر الأخرى في مكانها. ثم بدأت في تراجع جنوباً باتجاه الشعاب المحيطة ببلدة سبب. وأسفرت

(26) المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقرير حول أحداث الثورة بناحية غرداية 1959-1962، المحور

العسكري، مصدر سابق، ص02.

(27) تشكل الفوج من الجنود الآتية أسماؤهم محمد بوعامر و عبد القادر بن شعاعة و محمد الشحم و الهاشمي بن سالم و محمد أرسوي والطيب محبوب والهاشمي لخرش والطيب الكوطي وقدرور بن ثامر، للمزيد ينظر:

المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقرير الأحداث 1959-1962، المصدر السابق، ص02.

المعركة السريعة والخطافة عن إلقاء القبض على المسبل حيدة بن عمران⁽²⁸⁾ بعد الحملة التمشيط الواسعة التي شنتها قوات العدو في الأحياء المحاورة لميدان المعركة، كما خسر العدو ثلاثة عشرة جندياً سقطوا في ميدان المعركة⁽²⁹⁾.

4 - معركة جبل بولمة بضواحي بلدة سبب في 03 ديسمبر 1959:

يقع جبل بولمة ضمن محيط بلدة سبب جنوب مدينة متليلي وما يميز محيط الجبل هو كثرة تواجد الصخور الكبيرة الحجم و الأخاديد الواسعة أم الجبل في حد ذاته فتتخلله عدة كهوف كبيرة ومغارات مما جعله ملجأ و مركزاً مفضلاً وآمناً لعناصر جيش التحرير الوطني المتنقلة في تراب الناحية، بل كان الجبل من أهم المراكز التي تلجأ إليه القيادة من حين إلى آخر⁽³⁰⁾، وخاصة عندما تشتد حملات التمشيط و التفتيش لتراب الناحية وبالعودة إلى الموضوع فقد شارك في المعركة فوج من عناصر جيش التحرير الوطني⁽³¹⁾.

كان يقوده المساعد أحمد بن شرودة⁽³²⁾ كان الفوج يتأهب لذهاب في مهمة إلى مقر قيادة الولاية السادسة من أجل حضور المؤتمر العام لإطارات الولاية حيث تحرك الفوج في البداية من مركز قوفاة الواقع في الجهة الشمالية الغربية من مدينة

(28) تم إعدام المسبل حيدة بن عمران في منزله أثناء حملة التمشيط الواسعة، للمزيد ينظر إلى ملاحق تقارير المنظمة الوطنية للمجاهدين، مصدر سابق، ص 26.

(29) المنظمة الوطنية للمجاهدين: المصدر السابق، ص 03.

(30) الزبير بوشلاغم: معركة جبل بولمة، مجلة أول نوفمبر، العدد 167، لسنة 2003، ص 61.

(31) تشكلت الدورية المتجهة نحو مقر الولاية السادسة من الصادق محجوب والشيخ بوجلال ولخضر قرادي وعلي بوسماحة ومسعود خنيس وعبد الله بن عمار وعلي حميلة. ينظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقرير حول أحداث الثورة 1959-1962، المحور العسكري، مصدر سابق، ص 03.

(32) مساعد القسمة رقم 59 التي تأسست في شهر مارس سنة 1959 على إثر اجتماع إطارات الولاية السادسة والتي أقرت و عينت أحمد بن شرودة مساعدا للقسمة.

متليلي وفي طريقهم قرروا التوقف بجبل بولمة من أجل أخذ قسط من الراحة، و في ذلك الوقت كانت القوات الفرنسية قد شرعت في عملية تمشيط واسعة لتراب الشبكة فاكشفت عن طريق الصدفة عناصر الدورية الفوج و هم في طريقهم للجبل و على الفور بدأت المعركة عندما أطلقت قوات العدو نيران رشاشاتها و أسلحتها الثقيلة اتجاه عناصر الدورية و بعدها استعملت القوات الفرنسية سلاح الطيران

واستمرت المعركة إلى وقت غروب الشمس بحيث استغل عناصر الفوج حلول الظلام لينسحبوا ويتراجعوا و يختفوا في الشعاب القريبة من الميدان ، انتهت المعركة باستشهاد كاتب القسم رقم 59 المدعو عبد الله بن عمار و جرح كل من الجنود الشيخ بوجلال و علي خميلة و الصادق المحجوب كلهم من أبناء بلدة متليلي ما عدا علي خميلة الذي تعود أصوله إلى مدينة الأغواط ، وبفعل تدخل سلاح الجو تضرر العديد من البدو الرحل الذين كانوا مخيمين بالقرب من ميدان المعركة فقد خسروا الكثير من قطعان ماشيتهم جراء القصف العشوائي الشديد لمحيط المعركة ، بينما تكبدت القوات الفرنسية خسائر ثقيلة في الأرواح أكثر من خمسة وعشرين 25 جندي فرنسي لقي حتفه كما خلفت المعركة العشرات من الجرحى في صفوف العدو. بعد المعركة شرعت القوات الفرنسية على الفور في تنظيم حملات تمشيط وتفتيش واسعة لمحيط الشبكة بقصد تطهيرها من جيوب المقاومة بحيث استمرت العمليات لعدة أشهر فقد أكدت المعركة السابقة الحضور الفعلي و القوي للثورة في هذه المناطق القاحلة (33).

(33) المنظمة الوطنية للمجاهدين : تقرير حول أحداث الثورة بناحية غرداية 1959-1962، المحور العسكري ، المصدر السابق، ص ص 02-03، للمزيد ينظر محمد مولاي إبراهيم : مسح شامل لأحداث الناحية ، مخطوطة غير مطبوعة توجد نسخة منها بمقر منظمة المجاهدين و بمتحف المجاهد بمتليلي.

الخاتمة

يمكن القول بأن المرأة الجزائرية سواء في الشمال أو في الجنوب كانت إلى جانب الرجل في كفاحه الطويل للاستعمار الفرنسي الغاشم منذ أن وضع أول جندي فرنسي قدمه في الجزائر، فكان منهم من شارك في المقاومات الشعبية المسلحة التي اندلعت مع بداية الاحتلال، وكان منهم من ناضل في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية، كما كان منهم من شارك في الثورة التحريرية المباركة مجاهدات وفدائيات و مسبلات وممرضات.

وقد كافحت المرأة الجزائرية الأعادي في الجبال وفي البوادي والقرى والمدن، وخاضت المعارك بسلاحها وعالجت المرضى والجرحى ونظمت أخواتها المسبلات في خلايا مُحكمة التنظيم، وسجلت بما بذلته من جهد وعمل انتصارات عديدة في كل المجالات، ودخلت السجون والمعتقلات، وتحملت بصبر وإصرار الكثير من العذاب والتنكيل والآلام والمآسي إلى جانب زوجها وأخوها وأبنائها المجاهد والشهيد وقد شهدت ناحية غرداية؛ كغيرها من المناطق الأخرى العديد من العمليات الفدائية والكمائن والاشتباكات والمعارك في وقت مبكر؛ رغم التحذيرات التي ما فتى يوصي بها القادة الذين زاروا تراب الناحية قبيل اندلاع الثورة، فلقد كانت تعليماتهم كلها تصب في ضرورة إبقاء وجعل الناحية هادئة ومستقرة؛ كون الناحية حسب رأيهم لا تصلح للعمل العسكري المحض بقدر ما تصلح كقاعدة خلفية تمد المناطق الأخرى المجاورة لها بالمال والسلاح والرجال.

كما عرفت الناحية سلسلة من الكمائن والاشتباكات التي بدأت هي الأخرى مبكرا. إذا اعتبرنا حادثة إسقاط الطائرة العسكرية في المكان المسمى صطافة في شهر سبتمبر 1956 شمال بلدة بريان بداية للعمليات، فلقد تبع هذه العملية عدة

كمائن واشتباكات كان بدايتها بكمين المكان المسمى الخراجة الذي وقع في وسط مدينة غرداية في نهاية شهر أوت سنة 1957 على إثر معركة أفران التي وقعت يوم 28 أوت 1957، بحيث استمرت العمليات وتصاعدت في كامل جهات الناحية وخاصة بعد اكتشاف خيوط مؤامرة الاستسلام السابقة الذكر التي كانت السبب في اشتداد وتزايد وتيرة الكمائن والاشتباكات الخاطفة في الناحية طيلة الفترة الممتدة ما بين سنة 1959-1961، ولكن الاشتباكات بدأت تقل تحف حدتها بعد معركة جرجير التي وقعت يوم 20 جويلية 1961 والتي خلفت خسائر فادحة في صفوف أفراد جيش التحرير الوطني.

أما بخصوص المعارك، فقد شهدت الناحية ما لا يقل عن ثمانية عشرة 18 معركة حقيقية نشبت بين عناصر جيش التحرير الوطني الذي كان لا يملك سوى أسلحة خفيفة وبسيطة وقوات الجيش الفرنسي المدجج بآفتك وأحدث الأسلحة، وكانت أولى هذه المعارك هي المعركة أفران التي فاجأت العدو وهزت سلطات الاحتلال في الناحية بعدها بدأت سلسلة من المعارك شملت معظم جهات الناحية كان آخرها معركة شعاب العريق التي وقعت يوم 20 جانفي 1962 داخل بلدة متليلي، وخلفت هذه المعارك العشرات من الشهداء إن لم نقل المئات، وكبدت العدو عدد كبير من القتلى.

- مصادر أرشيفية المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي:

- 1- المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقرير حول أحداث الثورة التحريرية بالناحية بناحية غرداية 1959 - 1962.
- 2- شهادة حية للمسبلة السيدة النوبة زرقاط توجد نسخة منها في المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي.
- 3- شهادة حية للمسبلة السيدة ربيعة بهاز توجد نسخة منها في المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي.

- 4- شهادة حية للمسيلة السيدة حدة بن عمران توجد نسخة منها في المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي.
 - 5- شهادات حية لمجاهدين من ناحية غرداية، توجد نسخ منها في المتحف الولائي للمجاهد بمتليلي.
 - 6- مولاي إبراهيم محمد : مسح شامل لأحداث الناحية ، مخطوطة غير مطبوعة توجد نسخة منها بمقر منظمة المجاهدين و بمتحف المجاهد بمتليلي
 - 7- فيلم وثائقي تحت عنوان: الشهيدة عائشة النواصر.. حساء العطف وهو من إنتاج مؤسسة التلفزيون الجزائري سنة 2016 ومسجل في قرص مضغوط C.D.
- مصادر ومراجع:
- 1-بركات أنيسة: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013.
 - 2- بوشلاغم الزبير : معركة حاسي أفران ، مجلة أول نوفمبر ، العددان 134-135 سنة 1992.
 - 3- بورقعة لخضر: مذكرات شاهد على اغتيال الثورة، ط2، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2008.
 - 4-بوعزيز يحيى : ثورات القرن العشرين، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009 .
 - 5-جبريط جريط : على مدارج النضال و الثورة خطوات و ذكريات 1947-1964، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي، غرداية، 2015.
 - 6-درواز الهادي أحمد: المنظومة اللوجيستية بالولاية السادسة التاريخية، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
 - 7-سويلم مختار: ((دور المرأة الشعانبية في الثورة التحريرية)) ، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، عدد خاص رقم 21، صدرت في شهر ديسمبر 2014، جامعة غرداية
 - 6 - لونيسي إبراهيم : العقيد عميروش وعملية الزرق la Bleuite ضحية المؤامرة أم منقذ للثورة من كارثة، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.